جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

# التصدي لظاهرة استهلاك المخدرات على ضوء الدراسات العلمية

د. نواصر العياش

٢٠٠١م

# التصدي لظاهرة استهلاك المخدرات
# على ضوء الدراسات العلمية

د. نواصر العياش

# التصدي لظاهرة استهلاك المخدرات
# على ضوء الدراسات العلمية

المخدرات على نوعين: مخدرات خفيفة كالحشيش والقات، ضررها يماثل الضرر الناتج عن الاستهلاك المفرط للكحول. وقد أثبتت التجارب العلمية بأن حوادث المرور المرتكبة من طرف مستهلكي الحشيش أقل بكثير من حوادث مستهلكي الكحول، كما أن الإدمان على هذه المخدرات الخفيفة ما هو إلا مجرد ارتباط نفسي بها مماثل للإدمان على القهوة والتدخين، وإنما خطر استهلاك هذه المخدرات يكمن في الانتقال بحثاً عن اللذة إلى استهلاك نوع آخر من المخدرات وهي المخدرات الفتاكة، كالهيروين والكوكايين، والتي يترتب على استهلاكها أضرار جسيمة تتجاوز المستهلك في حد ذاته لتتعدى إلى المجتمع (Pinatel, 1971, p.81).

فاستهلاك المخدرات الفتاكة، ولو بكميات قليلة، تؤثر تأثيراً بالغاً على النشاط العقلي للإنسان، وتؤدي إلى تغيير جذري في حواسه، فيشاهد الصوت ويسمع الصورة كما يقال. والإفراط في استهلاكها قديؤدي إلى الموت. والخطر الحتمي لهذا النوع من المخدرات هو أنها تنشىء علاقة جسمية ونفسية وطيدة بين الانسان والمخدر، ويزداد الارتباط بالمخدر كلما ازداد الاستهلاك بحيث يصبح الانسان عبداً حقيقياً للمخدر. والانقطاع عن الاستهلاك يؤدي إلى حالة الاحتياج، الحالة التي يكون فيها الإنسان غير قادر على توجيه ارادته وتصرفاته، فيعتدي على الأشخاص والأموال (Deglon, 1974, p. 131).

إن تعاطي المخدرات ظاهرة حديثة العهد نسبياً، بدأت منذ الستينات

تنتشر في المجتمعات الغربية ، وكان انتشارها بشكل مذهل يختلف عن كل الظواهر الاجتماعية، وكان الأمر يتعلق بمرض معد عجز الأطباء عن اكتشاف علاج أو تلقيح لاستئصاله أو حتى للتخفيف من حدة سرعته . فبعد أن كانت الظاهرة محصورة لدى بعض الكتاب والأدباء الذين يستهلكون المخدرات من أجل الابداع ، أصبحت الظاهرة تمس كل فئات المجتمعات الغربية خاصة منها فئة الشباب .

ربما يرجع السبب في ذلك إلى أن فئة الشبيبة هي الشريحة من المجتمع التي لم تصل بعد إلى مرحلة النضج العقلي والتي ما زالت شخصيتها في طور التكوين . فالشبيبة ، فضلاً عن أنها تفتقر إلى الصبر والتحكم الذاتي ، فهي الفئة القابلة أكثر من غيرها للتأثر ، وهي الفئة التي تحاول فرض نفسها على فئة البالغين بالتسابق نحو تقليد أحدث السلوكيات المناهضة للمجتمع ، وخرق كل ما هو ممنوع .

انتشرت الظاهرة في المجتمعات الغربية لأن هذه المجتمعات فقدت التوازن في قيمها المادية والروحية ، فتغلبت المادة على الأخلاق ، وانهارت الأسرة ، وأصبح الفرد وحيدا في مجتمع مادي بحت وما الفائدة من المادة إذا كانت الروح لا تتوفر على غذاء ، فالإنسان جسم وروح .

أمام هذه الأزمة الداخلية الحادة ، التجأت الشبيبة الغربية إلى الإدمان على الكحول والمخدرات ، والالتحاق بطوائف دينية متطرفة ، وكانت كوارث الانتحارات الجماعية بدءاً بالانتحار طائفة جيم جونس سنة ١٩٧٨ الى انتحار طائفة معبد الشمس سنة ١٩٩٦

والمجتمع العربي يختلف عن المجتمعات الغربية من حيث كونه ما زال محافظاً على التوازن بين المادة والأخلاق ، وكل ذلك بفضل الدين والنهضة الإسلامية الحديثة .

ومع ذلك ، فإنه لا يمكن القول أن المجتمع العربي المسلم في مأمن من هذا المرض الخطير ، فظاهرة استهلاك وتهريب المخدرات موجودة ، بل إن حجمها بدأ يتسع في السنوات الأخيرة فما من يوم يمر في الجزائر إلا ونقرأ في صفحات الجرائد اليومية عن حجز كميات هائلة من الحشيش . وما من يوم إلا وتعرض قضايا المخدرات على المحاكم والمجالس القضائية .

وإذا كانت الظاهرة بدأت تنتشر في المجتمع العربي فإن أسباب انتشارها تختلف عن أسباب انتشار الظاهرة في المجتمعات الغربية لأسباب تعود خاصة إلى الأزمة الروحية بالنسبة للمجتمعات الغربية ، وأسباب تعود في مجملها إلى الأزمة المادية الظرفية بالنسبة لبعض الدول العربية بما فيها الجزائر ، ويظهر ذلك من خلال نوع المخدرات المستهلكة وكذا من خلال اتجاه الظاهرة نحو تهريب المخدرات إلى المجتمعات الغربية .

فالقنب الهندي ، أو ما يسمى بالحشيش أو الكيف ، هو المخدر المنتشر في الجزائر ، يستهلكه البعض من الشبيبة التي تفتقر إلى الوازع الديني حباً في الاطلاع وتقليداً للعالم الغربي أما المخدرات الفتاكة التي تعني الموت البطيء والتي تستهلك هروباً من المجتمع فهي نادرة في الجزائر لا تستدعي القلق . وهو حال كل المجتمع العربي كما أعتقد .

ومع الاختلاف في طبيعة الظاهرة وفي أسباب انتشارها بين المجتمع العربي والمجتمعات الغربية ، فإن الجزائر تبنت نفس السياسة المتبعة في العالم الغربي تجاه هذه الظاهرة .

مواجهة الاستهلاك بالتدابير العلاجية أساساً ، والعقوبة تأتي في المرحلة الثانية عندما لا يحقق التدبير العلاجي هدفه . فالعلاج إذا كان ضرورياً بالنسبة لمستهلكي المخدرات الفتاكة باعتبار أن هذا النوع من المخدرات يعد

مصدراً للإدمان والمرض ، فإن المخدر المنتشر في الجزائر وفي العالم العربي بصفة عامة هو الحشيش أو ما يسمى علمياً بالقنب الهندي . وهو نوع من المخدرات الخفيفة التي لا تؤدي غالباً إلى الإدمان ، ومستهلكها لا يمكن اعتباره مريضاً، بأتم معنى الكلمة، يتطلب علاجاً لازالة التسمم .

علاج ، فعقوبة ، ذلك هو الموقف المتبنى لمواجهة ظاهرة استهلاك المخدرات ، فعلى أي أساس اتخذ هذا الموقف، خاصة وأن التصرفات المشابهة لاستهلاك المخدرات والتي تدخل في إطار التحطيم الذاتي أو البحث عن اللذة المباحة في التشريع الجزائري . فالانتحار واستهلاك الكحول والممارسة الجنسية خارج إطار الزواج سلوكات ليست مجرمة في حد ذاتها باعتبارها مجرد تصرفات شخصية لا تلحق ضررا بالمجتمع .

فالمجتمع ، في ميدان الكحول مثلاً ، لا يتدخل لتقييد حرية الاستهلاك إلا إذا كان من شأنه تهديد النظام العام ويكون النظام العام مهدداً إذا ترتب عن استهلاك الكحول فضيحة أو كان الاستهلاك يشكل خطراً على أمن وسلامة المرور ( نواصر العايش ، ١٩٨٩ ، ص ٦٧٦ ) .

ومع أن استهلاك المخدرات يدخل في اطار البحث عن اللذة والتحطيم الذاتي فإنه يعد جريمة في حد ذاته وبغض النظر عن الظروف المحيطة به. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأضرار الناتجة عن استهلاك المخدرات أكثر جسامة من الأضرار المترتبة على التحطيم الذاتي والبحث عن اللذة من حيث كونها تتجاوز مستهلك المخدرات لتمس المجتمع بصورة أو بأخرى . وهذا ما تؤكده الدراسات العلمية في هذا المجال .

فاستهلاك المخدرات مصدر لعدد كبير من الجرائم ومصدر لتشويهات ولادية فضلاً عن كونه ظاهرة فردية من نوعها من حيث سرعة انتشارها عبر

مختلف الفئات الاجتماعية. وهذا ما سنحاول التطرق إليه عبر المباحث التالية :

## أولاً : استهلاك المخدرات مصدر للإجرام

حسب الدراسات المنجزة في أمريكا الشمالية وأوروبا (Mott, 1975, p. 73) ، فإنه ثبت من خلال ملاحظة عينة من الجانحين أن مجموعة منهم تستهلك مخدرات. كما أنه ثبت من خلال دراسة عينة من مستهلكي المخدرات أن أغلبهم يرتكبون جرائم ليست فقط من الجرائم التي لها علاقة بالمخدر، ولكن أيضاً جرائم أخرى لا علاقة لها بذلك،

صحيح أن هذه الدراسات ، بحكم أنها تعتمد في الغالب على منهج الاعترافات ، لا تسمح بدقة بمعرفة نسبة مستهلكي المخدرات من بين الجانحين ، ولكن الثابت من هذه الدراسات أنه توجد علاقة بين استهلاك المخدر والاجرام. يبقى التساؤل عما إذا كانت هذه العلاقة علاقة سببية أم علاقة تواجدية.

إذا ما رجعنا إلى الصفات المشتركة للهامشيين والغير متكيفين مع المجتمع نجد أن أسباب عدم التكيف الاجتماعي واحدة سواء بالنسبة لعدم التكيف الايجابي المتمثل في الاجرام أو بالنسبة لعدم التكيف السلبي والمتمثل في السلوك الانحرافي ، فكل ما يدفع إلى الاجرام يمكن أن يكون سبباً للانحراف ، فالمجرم لا يتردد في استهلاك المخدرات كما أن مستهلك المخدرات يمكن أن يرتكب جرائم ما دام سلوك المجرم ومستهلك المخدرات سلوك مناهض للمجتمع.

ففي هذا الإطار يمكن اعتبار العلاقة بين استهلاك المخدر والإجرام

علاقة تواجدية . ومعنى ذلك أن المخدر في حد ذاته ليس هو الدافع الى ارتكاب الجريمة ، ومستهلك المخدر إذا ارتكب جرائم فإن ذلك يعود إلى شخصيته ووضعيته الاجتماعية .

غير أنه يستنتج من دراسات أخرى لاحقة أن صفات المجرم تختلف عن صفات مستهلك المخدرات ، وأن أوجه الشبه بينهما ضئيلة للغاية .

فعلى خلال مجموع المجرمين ، فإن مستهلكي المخدرات ، شباب في أغلبيتهم ، لا ينتمون إلى الفئات الفقيرة من المجتمع ، كما لا ينتسبون بصفة عامة إلى عائلات منفكة ، بل أنهم يرتبون في درجة أعلى من المتوسط في اختبار الذكاء . فاستهلاك المخدرات منهج في الحياة للاحتجاج ضد القيم ومثل المجتمع .

إذا كان صحيحاً ما يدفع الشخص إلى استهلاك المخدرات قد يدفعه إلى ارتكاب بعض الجرائم ذات الهدف الاحتجاجي على المجتمع ، كالجرائم السياسية ، فإنه من غير ا لمؤكد أن تكون هذه الدوافع مصدراً للاجرام الحقيق . فالعامل المحرض على استهلاك المخدر لا يدفع إلى القتل والتعدي على الممتلكات .

فالعلاقة الموجودة بين استهلاك المخدر والاجرام ليست علاقة تواجدية بل هي علاقة سببية ، فالاجرام ناتج عن استهلاك المخدرات . غير أنه إذا كان لا يمكن انكار دور المخدرات الفتاكة في ميدان النشاط الاجرامي ، فإن الدور المسند للمخدرات الخفيفة في هذا الميدان يثير بعض التساؤلات ،

### أ ـ تأثير استهلاك المخدرات الفتاكة على الإجرام

مهما كانت آثار المخدرات الفتاكة على الجهاز العصبي ، الإرهاق ،

التنشيط أو القلق فإنها تعد مصدراً لعدد من الجرائم . فالادمان الناتج عن استهلاك هذه المخدرات يدفع بالضرورة إلى الاجرام، فالمدمن عندما يكون في حالة احتياج، لا يتردد على استعمال كل الوسائل من أجل الحصول على المخدر، من التحايل للحصول على الوصفات الطبية إلى تزوير هذه الوصفات واستعمالها ، إلى خيانة الأمانة وإصدار شيكات بدون رصيد وحتى إلى استعمال العنف وارتكاب أخطر الجرائم كالسرقة بالعنف والسطو على الصيدليات باستعمال الأسلحة في بعض الأحيان (Heuyer. G. 1956,p. 371) .

وهذا لا يتعلق فقط بالمدمنين المنتمين إلى الطبقات الفقيرة للمجتمع بل أيضاً بالمدمنين المنتسبين إلى الفئات الغنية في المجتمع وذلك بحكم غلاء هذه المخدرات وندرتها وصعوبة اقتنائها في السوق، والذي من شأنه دفع المدمن مهما كانت درجة ثرائه إلى السطو على أماكن تواجد المخدر في الصيدليات ومراكز البحوث .

كما أنه للحصول على المخدر يضطر المدمن إلى إنشاء علاقات مع المجرمين الحقيقيين ، العلاقات التي يمكن أن يتمخض عنها ارتكاب المدمن لجرائم أخرى .

هذا هو الدور الذي يلعبه الإدمان على المخدرات في مجال الإجرام، والعلاقة في هذا الإطار بين الاستهلاك والاجرام علاقة سببية ، فبدون استهلاك المخدر لا إدمان وبالتالي لا إلى الادمان أو حالة الاحتياج .

فإذا كان البعض من المخدرات الفتاكة تتميز بتأثيرها المرهق على الجهاز العصبي وبالتالي تؤدي إلى إتيان السلوك السلبي ، فإن استهلاك بعض المخدرات الفتاكة الأخرى كمخدر الامفيتامين Amphetamine من شأنه اثارة النشاط العصبي، وهذا ما يؤثر تأثيراً بالغاً على الاجرام .

فحقن هذا المخدر يعطي إحساساً عاماً بالارتياح، فيشعر الشخص المعني بالقوة والنشاط، ويجعله في حالة نشاط نفسي دائم، والاستمرار في الاستهلاك يغير جذرياً في حواس الشخص بحيث يشعر بتحول الوسط المحيط به إلى وسط غير أخوي ثم إلى وسط عدائي خطير بالنسبة إليه. وفي هذه الظروف يتخذ مستهلك مخدر الأمفيتامين السلوك العدواني، فيعبر عنه بالسيطرة والعنف والبحث الشرس عن اللذة.

وهكذا فإن الدراسات أثبتت أن التسمم الحاد أو المزمن الناتج عن استهلاك مخدر الأمفيتامين يؤدي بالمستهلك إلى إتيان سلوك عدواني، السلوك الذي له دور كبير في الإجرام (Kakant, Harole et al, 1973, p. 134).

## ب ـ تأثير استهلاك المخدرات الخفيفة على الإجرام

إن إستهلاك المخدرات الخفيفة، كالقنب الهندي، لا يترتب عنه الإدمان المماثل للإدمان الناتج عن إستهلاك المخدرات الفتاكة والذي يدفع إلى الإجرام تفاديا للوقوع في حالة الاحتياج. كما أن المخدرات الخفيفة ليس لها آثارا منبهة لنشاط الجهاز العصبي المركزي.

فالاستهلاك المعتدل للقنب الهندي ليس له تأثير على الإجرام، إلا إذا تعلق الأمر بعدم تقديم مساعدة لشخص في حالة خطر، لأن الأثر المميز لإستهلاك هذا المخدر هو إتخاذ المعنى للسلوك السلبي وشعوره بسعادة عابرة وهذا ليس من شأنه دفع المستهلك إلى القيام بالنشاط الإجرامي.

وحتى سابقاً، في سنة ١٨٩٣، فإن لجنة القنب الهندي التي أنشأتها انجلترا بهدف دراسة إمكانية منع إستهلاك القنب الهندي في الهند، قد خلصت في تقريرها إلى أنه لا يوجد دليل يثبت أن إستهلاك القنب سبب من أسباب الجرم في الهند (Solomon et Snyder, 1973, p.89).

وفي سنة ١٩٣٩، بعد أن كثر الكلام عن استهلاك القنب الهندي في صحف مدينة نيويورك، شكلت لجنة علمية لدراسة مدى تأثير استهلاك القنب الهندي على الإجرام، فانتهت اللجنة إلى القول بأن القنب الهندي لا يعد عاملا أساسيا لارتكاب الجرائم الخطيرة، وجنوح الأحداث غير مقترن باستهلاك هذا المخدر (Solomon et Snyder, 1973, p. 97).

كما أن الدراسات والبحوث الدولية الحديثة العهد لم تثبت ما إذا كان للقنب الهندي تأثير على الإجرام، بل إنه في إحدى الدراسات التي أقيمت في جنوب إفريقيا حول العلاقة بين القنب الهندي وجرائم الجنس، أثبتت بأن القنب الهندي لا يدفع المستهلك إلى إرتكاب جرائم الجنس وإنما ظاهريا يقوم بتهدئة وتخفيف الميول الجنسية (Kalant et al, Op. Cit, p. 131).

صحيح أن الأثر الأساسي للقنب الهندي هو السلوك السلبي للشخص الذي لا يدفع إلى الإجرام، ولكن يجب ملاحظة أن استهلاك القنب الهندي يزيل لدى الشخص الموانع (Les inhebitions) التي تعرقل ارتكاب الجريمة، فالاستهلاك وإن كان لا يدفع إلى ارتكاب الجريمة فإنه يبقى مع ذلك كعامل مهيئ للإجرام. فالحشيش الذي واجهه المجتمع بمواقف عدائية يقدم للمستهلك إمكانيات جديدة لانتهاك القانون (Dikslper, 1974, p. 139).

كما أنه من جهة أخرى فإن آثار مخدر القنب الهندي على المستهلك لا تترتب فقط عن محتوى هذه المادة المستهلكة، فشخصية المستهلك والوسط المحيط به يلعبان دورا معتبرا في تغيير آثار المخدر، بحيث أن مستهلك القنب الهندي مع مجموعة من الأشخاص يميل عادة إلى اتخاذ مواقف تتغير حسب الإطار والوسط المحيط به، وفي ظل هذه المتغيرات يمكن أن يرتكب جرائم.

إضافة إلى ذلك فإن آثار القنب الهندي تتغير طبيعتها حسب الكميات

المستهلكة . فإذا كان إستهلاك القنب بصورة معتدلة يؤدي إلى اتخاذ السلوك السلبي ، فإن الزيادة في الكمية المستهلكة يمكن أن يكون لها تأثير منشط على الجهاز العصبي المركزي فيتحول القنب الهندي إلى مخدر شبيه في آثاره بالأمفيتامين .

فإجرام مستهلكي القنب الهندي مرتبط من جهة بالكمية المستهلكة ومن جهة أخرى بشخصية المستهلك ووسطه الاجتماعي . فاستهلاك القنب الهندي ليس مجرد عامل مهيأ للإجرام بحكم أنه يزيل موانع الإجرام ، ولكن يمكن أن يكون سببا مباشرا للإجرام خاصة في حالة التسمم الحاد .

## ج ـ تأثير استهلاك المخدرات على حوادث المرور

ما من شك في أن استهلاك المخدرات الفتاكة له تأثير بالغ على جرائم الإهمال بصفة عامة وذلك بسبب آثارها على الجهاز العصبي المركزي . فالتغيير في الحواس الناتج عن المواد المهلوسة ، والاختلال النفسي الخطير الناتج عن المواد المنبهة ، كل ذلك حتما له تأثير على حوادث المرور (May. A. R., 1972, p.5).

كما أن الخلط بين المخدرات يضاعف من شدة التسمم ويؤدي إلى الزيادة في عدد حوادث المرور فقد ثبت أن ضعف الانتباه الناتج عن استهلاك الكحول يشتد لدى السائق عندما يستهلك إلى جانب ذلك مواد مهدئة .

أما بالنسبة لتأثير المخدرات الخفيفة على حوادث المرور ، فإن التجارب العلمية ، إلى وقت قريب ، لم تثبت ذلك . فقد قام فريق من علماء النفس والصيادلة بالولايات المتحدة الأمريكية بتجربة حول آثار إستهلاك المارجوانا «القنب الهندي» على سياقة السيارات .

فبمساعدة جهاز شبيه بالسيارة، حاول الباحثون إثبات ما إذا كانت توجد علاقة بين إستهلاك الماريجوانا وحوادث المرور، فتمت التجربة على مجموعة من الأشخاص بعد إستهلاك كل واحد منهم سيجارتين من الماريجوانا. وكانت نتائج التجربة أن الأخطاء الوحيدة المرتكبة من السائقين تتعلق بالسرعة.

وأجريت التجربة على مجموعة من مستهلكي الكحول، فكانت نتائجها مخالفة للأولى. أخطاء كبيرة ترتكب من طرف مستهلكي الكحول. كتجاوز السرعة، ونسيان التوقف، وتوقيف السيارة في وقت غير مناسب، وأخطاء في الإسراع وأخطاء في التمهل. واستعمال غير صحيح لمؤشر تغيير الإتجاه (Snyder et Solomon, Op. Cit, p. 74 ets.).

صحيح أنه من وجهة النظر الاحصائية، فإن حوادث المرور لا يتسبب فيها مستهلكي القنب الهندي، ولكن هؤلاء المستهلكين عادة ما يمتنعون عمدا عن السياقة أو يسوقون بحيطة وحذر حتى يتجنبون إكتشاف إستهلاكهم للمخدر كما أنه فضلا عن ذلك، فإنه عندما يرتكب حادث مرور، ويكون سببه الفعلي تأثير القنب الهندي فإن هذا الحادث لا يدرج ضمن حوادث المرور الناتجة عن استهلاك القنب الهندي وذلك لكونه من الصعب في الوقت الحاضر الكشف عن حالة التسمم الناتجة عن استهلاك القنب الهندي، وكذا تحديد نسبة المخدر في الدم أو في أي مادة أخرى من الجسم.

## ثانياً : استهلاك المخدرات مصدر للتشويهات الولادية

**(Les malformations congenitales)**

يظهر في بادئ الأمر أن تأثير المخدرات على الكروموزات Les chromosomes ما هي إلا قضية شخصية لا تمس المجتمع إلا بصورة غير مباشرة، فمن الصعب تصور ضرر لاحق بالشخص دون أن يكون له أثارا على المجتمع. فحتى المرض يلحق ضررا بالمجتمع باعتباره يتطلب علاجا في المستشفى تتحمل الدولة مصاريفه.

غير أنه بالنسبة لإستهلاك المخدرات، فإن الخلل الكروموزومي الناتج عنه يمكن أن يكون له تأثير مباشر على الفروع وبالتالي على الأجيال القادمة. وعليه فإن إستهلاك المخدرات يمكن أن يلحق ضررا بالصحة الجسمية للمجتمع (Levasseur, 1965,).

فبهدف التخويف من المخدرات، بعض الأطباء لا يترددون في تضخيم آثارها، فيؤكدون على أن إستهلاك المخدرات، سواء كانت من النوع الفتاك أو من النوع الخفيف، يتضمن خطرا تناسليا، فالأفيون يراب العجز الجنسي، العنانة والبرودة. والمورفين مصدر للخلل الهورموني في حياة المرأة الجنسية، كما أن السبب في تقليص خلايا المني (Dr. Amorozo, H., 1970, p. 48).

صحيح أنه من الممكن أن تحدث مثل هذه الآثار من جراء إستهلاك المخدرات، ولكن يجب أن لا نؤكد ذلك دون تقديم الدليل. فصرخات الإنذار بخطر المخدرات تكون دون جدوى إذا لم يبرهن علميا على وجود هذه الأخطار

في الواقع، أن المخدرات التي كانت موضوعا لدراسات علمية في هذا

المجال هي مخدر القنب الهندي ومخدر (LSD)، وذلك بحكم انتشار استهلاكهما في المجتمعات الغربية.

إن معاينة ولادات مشوهة لدى بعض المدمنين على المخدرات دفع العلماء إلى بحث ودراسة آثار المخدرات على الولادة. فكانت النتائج الأولية أن استهلاك القنب الهندي مثل إستهلاك مخدر (LSD) يمكن أن يترتب عنهما أضرارا ولادية (Lesions congenitales). بعض هذه الأضرار مصدره تأثير المخدر على نمو الجنين أثناء الحمل، والبعض الآخر يرجع مصدره إلى تأثير المخدر على خلايا الإنجاب لدى الوالدين قبل الحمل.

إن معرفة مصدر الضرر الولادي له فائدة من حيث أنه إذا كان المخدر له تأثير مباشر على الجنين فإن الإضرار الولادية لا تلحق إلا بالمولود المعني، أما إذا كان للمخدر تأثير على خلايا الإنجاب فإن الأضرار الولادية لا تتعلق فقط بأول مولود بل بكل الفروع.

### أ ـ تأثير استهلاك المخدرات على الكروموزومات

كل خلية من خلايا الإنسان تحتوي على كروموزومات، وهي عبارة عن جزئيات من خيوط داخل نواة الخلية تحمل الصفات الوراثية وتتولى عملية التكاثر. فبزرع كمية من مخدر (LSD) فكانت النتيجة مع ذلك إحداث خلل في كروموزومات الخلايا.

وللتأكد من صحة النتائج وما إذا كان استهلاك مخدر (LSD) يؤدي إلى نفس الخلل الكروموزومي. قام الأستاذ (Cohen) ومساعدوه بفحص الكريات البيضاء لدم شخص مريض بانفصام الشخصية (Schezophrenie) والذي كان موضوعا لعدة تجارب بمخدر (LSD) من سنة ١٩٦٠ إلى سنة

١٩٦٦ والنتيجة التي توصلوا إليها هي أن نسبة (١٢٪) من كروموزومات الكريات البيضاء قد فسدت. بينما نسبة فساد كرومزومات السكيزوفريني الذي لا يستهلك المخدر لا تتجاوز (٣٪).

تجارب أخرى توصلت إلى نتائج مماثلة. فبالمقارنة بين هيكة الخلية الدموية من صنف الكريات البيضاء (Leucocytes) عند مستهلكي (LSD)، وبين هيكلة الخلية عند شخص آخر لا يستهلك المخدر لاحظ الباحثون أنه كثيرا ما يحدث إنقطاع وتوقف في كروموزومات مستهلك (LSD)، بل وفي بعض الأحيان عندما يكون الاستهلاك مكثفا يحصل فساد وتشويه الكروموزومات المتعلقة بالخلية الدموية البيضاء المكفلة بالدفاع ضد الميكروبات.

أما بالنسبة لتأثير القنب الهندي على الكروموزومات فإنه حسب الدراسة التي قام بها الأستاذ (Nahas Gabriel) فإن استهلاك المخدر من شأنه تحطيم وتفجير الكروموزومات (Rossin, P., 1976/1 No. 700 p. 86).

فلقد أجرى الأستاذ (Nahas) تجربة على (٥) أشخاص من مستهلكي القنب الهندي بانتظام سنهم تتراوح بين (٢٠ و٢٧) سنة، ودامت التجربة (٣) أشهر

أثناء الأسابيع الثلاثة الأولى تم حرمان المختبرين كليا من القنب الهندي، ثم سمح لهم أثناء الأسابيع الأربع التالية بتدخين سجائر القنب الهندي بصورة تدريجية لتصل إلى (١٠) سجائر في اليوم. وأثناء كامل فترة التجربة يخضع كل شخص لتحليل الدم مرة كل أسبوع وذلك لمتابعة تطور النسبة الدموية في الهورمونات الجنسية. كما أنه كل أسبوعين يؤخذ من كل شخص السائل المنوي.

حسب نتائج هذه التجربة فإن الخلايا الجنسية للأشخاص المختبرين لحقها ضرر كبير، كما أن الحمض الريبي النووي (Adn acide desoxyplbo nucleique) لهذه الخلايا تعرض إلى إتلاف وأن كمية المني أنخفضت إلى النصف مما يجعلها مبدئيا غير قادرة على تلقيح البويضة. وإذا كانت الكمية المتبقاة من المني قادرة إستثناءً على الإلقاح فإنه من الممكن أن ينتج عنها أطفال مشوهين.

تجارب أخرى قام بها الأستاذ (Nahas) تؤكد نفس النتائج التي توصل إليها في التجربة السابقة (Nahas, G, 1976, p. 201).

## ب ـ تأثير المخدر على الجنين

صحيح أن فساد الكروموزومات يمكن أن يشوه الجنين، ولكن تشويه الجنين يمكن أن ينتج مباشرة من استهلاك الأم للمخدرات أثناء فترة الحمل. فقد لوحظ عند أطفال الأمهات المدمنات على المخدرات علامات التسمم وتشويهات ولادية (Pelicier et Thuillier, p. 24)

غير أنه إذا كان من المؤكد أن علامات التسمم الملاحظة عند الأطفال حديثي الولادة تعود إلى استهلاك الأم للمخدرات أثناء فترة الحمل، فإن التشويهات الولادية قد تعود إلى أسباب أخرى لا علاقة لها باستهلاك المخدرات، وللتحقق من ذلك أجريت تجارب على حيوانات.

فالتجربة التي قام بها (Alexander) ومساعدوه والتي أوردها الدكتور (Varenne) في كتابه «تعاطي المخدرات»(Varenne, Op. Cit, p. 385) تبين أن تحقين الفأرة بمخدر (LSD) في اليوم الرابع للحمل يمكن أن ينتج عنه الإجهاض أو التشويه الجنيني وكذا التأخر المعتبر في الولادة.

وقد توصل الدكتور (Ravina) إلى نفس النتائج، إلا أنه أعطى أهمية بالغة للوقت الذي يتم فيه تقديم المخدر فقد لاحظ أضرارا كروموزومية لدى الفئران من أم تم حقنها بمخدر (LSD) في بداية حملها. بينما لم تلاحظ هذه الأضرار لدى فئران أخرى من أم حقنت بنفس المخدر في وسط أو نهاية الحمل (Ravina A, Op. Cit, p 941).

تجارب أخرى حول مدى تأثير القنب الهندي على الحيوانات توصلت إلى نتائج مماثلة خاصة عندما يحقن المخدر في بداية الحمل (Nahas G., Op. Cit, p 15).

أما فيما يتعلق بتأثير القنب الهندي على الإنسان، فإن الدراسات لم تؤكد أن إستهلاك هذا المخدر من طرف إمرأة حامل له تأثير مباشر على الجنين، ومع ذلك لا يمكن أن نستنتج بأن الإستهلاك في تلك الفترة لا يتضمن أي خطر

صحيح إستهلاك القنب الهندي بالنسبة لبعض المجتمعات يعد شيئاً عادياً وأنه لم يلاحظ تشويهات ولادية لدى أفرادها، غير أنه إذا كان استهلاك القنب الهندي في تلك المجتمعات مقتصراً على الرجال فإن استهلاك القنب الهندي يمكن أن يمس أيضا فئة النساء.

أما بالنسبة لأثار مخدر (LSD) على الجنين فهناك قرائن قوية على أن استهلاك المخدر من طرف امرأة حامل من شأنه تشويه الجنين. فقد لوحظ فعلا لدى أطفال الأمهات التي استهلكت مخدر (LSD) أثناء فترة الحمل تجزئة وتغيير وضعية الكروموزومات (Fragmentation at transposition des chromosomes) وهذا ما يدل على أن هذا المخدر يخترق المشيمة (Placenta).

صحيح أنه لم يثبت علميا وبصفة قاطعة أن استهلاك المخدر مصدر

لولادات غير عادية، ولكن التشويه الجنيني المعاين لدى الحيوان ولدى الإنسان تسمح بإبداء تخوفات مستقبلية فالخطر الوراثي موجود لدى مستهلكي المخدرات خاصة منهم المدمنين بصفة مزمنة على مخدر (LSD).

**ثالثاً : استهلاك المخدرات سلوك معد (Chausserie L, 1972, p. 479).**

إذا كان المرض المعدي ينتقل إلى الغير بفعل الطبيعة أو المحيط فإن استهلاك المخدرات وإن كان يعد مرضا معديا إلا أن طريقة انتقاله تختلف من حيث أنه لا يفرض على الغير بل يوافق عليه. فهو مرض متعمد.

وباعتبار أن المرض المعدي غير مرغوب فيه، فإنه يمكن وضع حد لانتشاره وذلك بفضل الطب، إلا أن إنتشار إستهلاك المخدر من الصعب توقيفه بحكم أن المستهلك في حد ذاته يميل إلى جذب الأنصار لإستهلاك المخدرات وبحكم أن فئة الشبيبة مهيئة إلى انتهاج سلوك المخدرات باعتباره وسيلة للاحتجاج.

**أ ـ ميل مستهلك المخدرات إلى جذب الأنصار (Le proselytisme).**

كل إنسان يؤمن بفكرة يحاول تعميمها على الغير، فإذا تبنى أيديولوجية سياسية كانت أو من طبيعة أخرى، فإنه يعمل من أجل نشرها وجذب أكبر عدد ممكن من الأنصار تدعيما لها.

ففي الميدان الديني. لم يكن الانتشار الديني دائما بالإقناع فكثيرا ما كان يلتجأ إلى الحروب في سبيل ذلك. وإذا كانت الديانات استعبدت حاليا وسيلة الحرب لنشر معتقداتها وكسب الأنصار، فإنها مع ذلك ترغب في أن يتبناها أكبر عدد ممكن من الناس.

كما أنه في الميدان السياسي، فإن البحث عن مناضلين جدد من أولويات الأحزاب. فالحزب الذي يتحصل على الأغلبية هو القادر على وضع برنامجه حيز التطبيق.

فنشر المعتقد الديني أو المعتقد السياسي ليس فقط مرخصاً به بل أن المجتمع يساعد على ذلك بوضع الإمكانيات اللازمة تحت تصرف الحركات الدينية والسياسية.

وفي ميدان استهلاك المخدرات فإن الشيء الملاحظ هو أن أغلب المستهلكين يفضلون الإستهلاك الجماعي للمخدرات إذ أنه يوفر الإطمئنان بحكم الوضعية الاجتماعية للمستهلك، كما أن الاستهلاك الجماعي للمخدر فيه نوع من اللذة لأنه عادة ما يتم باحترام قواعد يمكن اعتبارها كطقوس دينية. فسيجارة الحشيش تحضر بكيفيات محددة، وتدخينها يتم بالتتابع كل واحد ودوره

وإذا كان مستهلك المخدر يشعر باللذة أثناء الاستهلاك الجماعي فإن لذته تزداد عندما يقوم بتلقين كيفيات الإستهلاك لمترشح ومناصر جديد يقدم على مباشرة هذه الطقوس.

وباعتبار أن في الإستهلاك الجامعي للمخدر لذة فإن المستهلك عادة ما يبحث عن أشخاص جدد لمشاركته طقوس الاستهلاك فيختار الأشخاص. واختياره لا يعتمد فقط على العاطفة بل يعتمد أيضا على تلاقي الأفكار فيقع على أشخاص يماثلونه في الحالة النفسية والمنهج في الحياة.

ما من شك في أن فائدة مهرب المخدرات أكبر من فائدة المستهلك في تحريض الأشخاص على تعاطي المخدرات، فاحتكاك المهرب بالشباب يمكن أن يكون دافعا إلى الإستهلاك. ولكن الدراسات أكدت أن دور

المستهلك أكبر بكثير من دور المهرب في التحريض على استهلاك المخدرات واكتساب أنصار جدد لعالم المخدرات. فمن خلال الدراسة الميدانية المنجزة في ألمانيا حول مجموعة من (Conesil de l europe, 1974, p. 163)ص التلاميذ تتراوح أعمارهم بين (١٤ و ٢٠) سنة تبين أن المخدر يتحصل عليه التلاميذ من :

| | |
|---|---|
| صديـــق | (٥١٪) |
| مجموعة مستهلكين بالصدفة | (٤٣٪) |
| مهـــرب | (٥٪) |
| بدون معلومات | (١٪) |

كما أن البالغين يمكن لهم أن يقدموا للمستهلك نوعا من الحنان ولكن سلوكهم تجاه المجتمع يختلف عن سلوك مستهلكي المخدرات. فالبالغ عادة ما يكون محافظا وتقليديا، بينما المستهلك عادة ما يكون منازعا، ولهذا فإن بحث مستهلك المخدرات عن الأنصار يتجه نحو الفئة المنازعة للمجتمع وهي فئة الشباب.

### ب ـ تهيئة الشباب لاستهلاك المخدرات

في السابق كان الشاب يدمج في المجتمع باعتبار أن شخصيته كانت صورة مطابقة لشخصية والديه. ولكن اليوم هناك فاصل بين الشباب والبالغين، فالحوار بينهما يضيق، والأسرة التي كانت تضم كل الأهل بدأت تتقلص خاصة في المدن الكبرى. فالعمل والبحث عن النوعية في المعيشة وأزمة السكن، كل ذلك كان من شأنهما تضييق الأسرة إلى مجرد خلية للأبناء والأطفال.

وبالمقابل بدأ الحوار يتسع بين الشباب ويزداد إتساعا بسبب تمديد فترة الدراسة، وكانت النتيجة أن تكوين الشاب لا يتم كما كان في السابق بواسطة البالغين بل بواسطة الشباب أنفسهم.

وما دام للشباب قيم خاصة ناتجة عن التجربة الشخصية والتعليم النظري المثالي المأخوذ من المدرسة، فإن الملتحق بهذه الفئة يتمسك بقيمها، ويستبعد قيم البالغين. وهكذا يوجد جيلان، جيل يلعب دورا فعالا في المجتمع باعتباره الجيل المنتج وهو جيل البالغين، وجيل آخر وهو جيل الشباب الذي يقتصر دوره في المجتمع على الإستهلاك.

إذا كان صحيحا أن جيل الشباب جيل مؤقت ينتهي بالإدماج في نظام الانتاج بعد الانتهاء من الدراسة، وإذا كان صحيحاً أيضا أنه يوجد مع ذلك شباب لهم الأمل في الإدماج، فإنه لا يمكن التصديق بأن كل الشباب لهم نفس الطموحات. فكثير منهم لا يريدون فقط تمديد فترة الشباب إلى ما بعد الدراسة بل يريدون البقاء في هذه الفترة، لأن البلوغ بالنسبة إليهم معناه قبول المجتمع على ماهو عليه، قبول خبث واحتيال نظام الإنتاج (Hicter, M., 1972, p.7).

يكمن الاعتقاد أنه يوجد بين الجيلين بعض التفاهم والاحترام بحكم تكليف البالغين بمساعدة الشباب في تكوين شخصيتهم وتعليمهم معنى المسئولية، إلا أن المؤكد أنه يوجد بين المراهق والبالغ والذي يرجع سببه إلى ممارسة السلطة الأبوية.

فإذا كان أغلب الشباب في نزاعهم للمجتمع يقتصر على اتخاذ منهج في الحياة مخالف لمنهج البالغين من حيث كونه خاليا من الشكليات ويتسم بالبساطة فإن البعض من الشباب يلتجئ إلى الانحراف والإجرام.

إن هذا الجزء من الشباب الذي يتخذ سلوك الإنحراف منهجا لمناهضة المجتمع مهيأ لإستهلاك المخدرات، وإذا لم يلتجئ بعد إلى عالم المخدرات فإن ذلك يعود إما لعدم وجود المخدر أو أن المخدر لم يقترح عليه.

أما بالنسبة لأغلب الشباب والذي ينعكس نزاعه للمجتمع في السلوك السلبي فإن احتمال الالتحاق بعالم المخدرات متوقف على شخصيته ومحيطه الاجتماعي وكذا بمدى إطلاعه ومعرفته بأضرار وأخطار المخدرات. فكلما أزدادت المعارف كلما نقصت المخاوف. وهذا ما يظهر من خلال دراسة قام بها مجموعة من الباحثين في الثانويات الفرنسية (Dr. Davidson, Choquet et Depagne, 1973) فالشباب المهمش يحكم تهيئته للانحراف يعد الوسط الملائم للبحث عن الأنصار، وهذا ما يفسر سرعة انتشار ظاهرة إستهلاك المخدرات عبر فئة الشباب.

فعلى ضوء هذه الدراسات العلمية تمت مواجهة الظاهرة بمجملها دون تمييز بين المخدرات الخفيفة والمخدرات الفتاكة، فهي كلها رمز للانحراف والهامشية، فضلا عن أضرارها الجسيمة للمجتمع حاضرا ومستقبلا وكانت المواجهة في الجزائر بمنع استهلاك المخدرات تحت طائلة العقوبة مع إخضاع المستهلك لتدابير علاجية، وجعل العلاج سببا لاستبعاد العقوبة حتى بالنسبة لمستهلكي المخدرات الخفيفة الذين لا يتطلبون علاجا مزيلا للإدمان. مواجهة آنية ومستقبلية في نفس الوقت تفاديا للوصول إلى الوضعية المأساوية التي تعيش فيها المجتمعات الغربية من ناحية تعاطي المخدرات، الوضعية التي قد يصل إليها العالم العربي في حالة إهمال الجانب الديني والأخلاقي في تربية الشخص. فالوازع الديني هو المناعة الطبيعية والدرع الواقي من انتشار هذه الآفة في المجتمع العربي.